

سلسلة شعب الإيمان
الحب في الله والبغض في الله

(٥٠)

الحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ

الحب في
الله والبغض
في الله

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل والصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فهذه شعبة جديدة من شعب الإيمان تحدثت فيها عن الحب في الله والبغض في الله أو الكلام على مباحة الكافرين والمفسدين .

أسأله تعالى أن ينفعني بها ومن قرأها وطالع فيها وساهم في نشرها إنه خير مأمول .

خادم العلم الشريف

أسعد محمد سعيد الصاغري

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أخي المسلم - أختي المسلمة

المسلم مستسلم منقاد لأحكام الله عز وجل ظاهراً وباطناً
يحب لله ويغض لله ويعمل لله ويمتنع عن العمل لله . ولا يقدم
على أمر حتى يعلم حكم الله فيه فهو بائع نفسه لله يسعى في
إعتاقها من النار فإذا زلت قدمه عن هذا الصراط المستقيم يوماً
بادر إلى ردها إليه بالتوبة والإنابة الخالصة لله عز وجل .
وبذلك يطبق قول الله تعالى وحكمه الذي قضاه على ما سواه
بقوله إنا لله ملكاً وخلقاً وعبداً .

ولعل هذا الاستسلام والانقياد هو أوثق الإيمان وأمتن عراه
أعني الحب في الله والبغض في الله والموادة في الله والمعادة
في الله والموالاتة في الله والمصارمة في الله .

وأولياء الله تعالى لم يحصلوا على هذه الرتبة أعني الولاية
إلا بالحب في الله والبغض في الله ، والمؤمنون الصادقون لا
يتذوقون طعم الإيمان إلا بالحب في الله والبغض في الله وموادة
المؤمنين ومعادة الكافرين فلا يبغضون لهوى ولا يحبون لهوى .
قال ابن عباس لمجاهد بن جبر : عاد في الله ووال في الله

فإنه لاتنال ولاية الله إلا بذاك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك .

وورد في الإسرائيليات أن الله عز وجل أوحى إلى يوشع بن نون إنني مهلك من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم قال : يارب تهلك شرارهم فما بال خيارهم ؟ قال : إنهم يدخلون على الأشرار فيؤاكلونهم ويشاربونهم ولا يغضبون بغضبي .

فعليك يا أخي المسلم ويا أختي المسلمة الحبة في الله والبغض في الله أحبّ جميع المؤمنين لإيمانهم وأبغض الكافرين والمنافقين لكفرهم ونفاقهم واعلم أن الحب والبغض محلهما القلب ولا يطلع على القلوب إلا الرب تبارك وتعالى . والمؤمن المتبع حكيم يتعلم الحكمة ويدور معها وقد قال تعالى : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ . والمؤمن كيس فطن يعرف كيف يحب ويعرف كيف يبغض وقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام ائذنوا له بتس أخو العشيرة ، وقال أيضاً إنا نبش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم . والقلب لا يسع إلا أمراً واحداً فمن امتلأ قلبه بالنور فر منه الظلام وإن زال عنه النور عشى وأظلم . أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال

رسول الله ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل » (١) .

وروى البيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأبي ذر : ياأباذر أي عرى الإيمان أوثق ؟ قال الله عز وجل ورسوله أعلم : قال ، الموالاة في الله والحب في الله والبغض في الله (٢) .

والمتحابون في الله نصحة ومرايا يرى المؤمن نفسه في أخيه فإذا رآه على معصية نبهه وإذا رآه على طاعة نشطه يغسل بأخيه نفسه من الخطايا والأدناس والأرجاس فإذا نصحه مرة ومرتين وثلاثاً ولم يرعو أبغضه في الله بمعنى هجره وقلى فعله وهذا الهجران لا يضر لو طال لأنه لله وبغض في الله . ولا تقاطعه من المرة الأولى فهو جفاء ، وافقه حديث رسول الله ﷺ قبل أن تستعمله وسل عنه إن لم تهتد إلى الفقه فيه أهل العلم . وربما سمعت قول بعض السلف كقول بشر الآتي فحملته على غير محمله الصحيح تريد أن تصلح فإذا أنت قد أفسدت . قال بشر بن الحارث : الحب في الله والبغض في الله فإذا أحببت أحداً في الله فأحدث حدثاً فأبغضه في الله فإن لم تفعل لم يكن ذلك الحب في الله .

(٢) فيض القدير ٧٠/٣ .

(١) الشعب ٧١/٧ .

فالبغض ينبغي أن يكون بعد النصح فلا تعجل بالبغض حتى تستنفذ الجهد فإذا لم تر إلا القطيعة والهجران فافعلهما فإن آخر الدواء الكي . ولا بد من البغض في الله فافعل وقل كما قال لوط عليه السلام إني لعملكم من القالين - الهاجرين - فأبغض فيه عمله السيء ترشد . فإنك إذا فعلت ذلك كنت من أهل الله تعالى الذين سأل النبي موسى عليه الصلاة والسلام ربه عنهم .

قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلمهم في ظل عرشك ؟ قال : هم المتحابون بجلالي ، الطاهرة قلوبهم ، النقية أبدانهم ، إذا ذكروا ذكرت بهم ، والذين يأوون إلى ذكري كما تأوي النسور إلى أوكارها والذين يكلفون بذكري كما يكلف الصبي والذين يغيضون لمحارمي إذا استحللت كما يغيض النمر إذا حرب ^(١) . وحرب : اشتد غضبه .

واعلم أن الصلاة والزكاة وسائر العبادات نفعها قاصر على فاعلها في الغالب لكن الموالاة والمعاداة يترتب عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونفعهما متعد ولا يعنى هذا الزهد

(١) الشعب ٧١/٧ .

في العبادات فهي التي تقوى المرء على القيام بالحب والبغض
فالإسلام دين متكامل . لكن القول مسلم بأن في الحب في الله
والبغض في الله الأجر الكبير والثواب الجليل .

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما
زهدي في الدنيا فتعجلت به راحة نفسك ، وأما انقطاعك إليّ
فتعززت بي فماذا عملت فيما لي عليك ؟ قال يارب وماذا لك
عليّ ؟ قال : هل عادت فيّ عدواً ؟ أو هل واليت فيّ ولياً ؟
زاد الحكيم الترمذي في رواية وعزتي لا ينال رحمتي من لم
يوال فيّ ولم يعاد فيّ (١) .

فالعابد في زهده في الدنيا وانقطاعه عن أهلها لم يبلغ
الغاية ولم يرتق النهاية . وقد بين له ربه أن ذلك مشوب
بحظوظ نفسانية ، وتركه بعض ما لا يزن كله عند الله جناح
بعوضة ليس بكبير أمر بالنسبة للعمل الأكمل وهو الذي عليه
المعول ألا وهو التصلب في مجانية أعداء الله ومباعدتهم
وموالاته أحباب الله تعالى والدنو منهم وهو الإخلاص كله فإذا
أحببت الأشياء لأجل الله وعاديت الأشياء لأجل الله فقد

(١) فيض القدير ٧٠/٣ .

أحبت الله تعالى وليس معنى حب العباد لمولاهم غير ذلك .
يبد أنه للقيام بهذه الشعبة ينبغي الوقوف على معرفة الإيمان
والكفر وأهلهما . وما يتبع الكفرة من الزنادقة والمرتدين
والملحدين والدهريين حتى تتضح الصورة وتحسن المحبة
والبغضاء . فأقول مستعيناً بالله تعالى .

الإيمان في اللغة التصديق وفي الشرع تصديق النبي ﷺ في
كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقاً جازماً مطلقاً سواء كان
لدليل أم لا ، وهو فعل القلب ، وخطاب الله تعالى في القرآن
الكريم الناس توجّه عليهم بلفظ آمنوا بالله وهو بلسان العرب
ولم تكن العرب تعرف من لفظ الإيمان إلا التصديق ، وجاءت
الآيات الكريمة دالة على أن محل الإيمان هو القلب مثل قوله
تعالى : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ وقوله تعالى :
« من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » ويؤيده قوله
ﷺ لأسامة حين قتل من قال لا إله إلا الله واعتذر بأنه لم يقوله
عن اعتقاد بل عن خوف القتل : « هلا شققت عن قلبه » ، وقوله
ﷺ لجبريل وقد سأله عن الإيمان بقوله : « فأخبرني عن
الإيمان » قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت » الحديث .

والذي يؤكد أن الإيمان هو عمل القلب كون الكفر وهو
التكذيب والجحود يكونان بالقلب والكفر ضد الإيمان والتضاد
يكون في المحل الواحد ولا تضاد عند تغاير المحلين . ولما كان
الإيمان هو التصديق القلبي جاز للمكره بالقتل التلفظ بلفظ
الكفر باللسان إذا كان القلب مطمئناً بالإيمان ولا يضره . ونفى
عن المنافقين الإيمان مع التصديق اللساني لعدم التصديق القلبي
قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
وما هم بمؤمنين ﴾ .

ولما كان الإيمان محله القلب ولا يمكن الاطلاع عليه جعل
الإقرار باللسان شرطاً لإجراء الأحكام لأن الأصل في الأحكام
أن تكون مبنية على الأمور الظاهرة . فيحكم بإيمان من تلفظ
بكلمتي الشهادة سواء تحقق معه التصديق القلبي أو لا ،
ويحكم بكفر من لم يتلفظ بهما مع تمكنه سواء كان معه
التصديق القلبي أو لا ، حتى من جعل الإقرار ركناً من أركان
الإيمان إنما جعله ركناً لا لخصوص كونه إقراراً بل لدلالته على
التصديق .

ألا ترى أن الكافر إذا صلى بجماعة يحكم بإسلامه وتجري
عليه أحكام أهل الإيمان لأن الصلاة بجماعة جعلت دليلاً على

تحقق الإيمان لقوله ﷺ : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو منا » ولما كان الإيمان هو التصديق القلبي عطف الأعمال الصالحة التي هي أعمال سائر الجوارح عليه ولو كانت داخلة في الإيمان للزم من العطف عليه التكرار بلا فائدة قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾ . وقال تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وكذلك الإيمان يجتمع مع المعاصي .

إيمان المقلد

التقليد هو اعتقاد حقية قول الغير على وجه الجزم من غير أن يعرف دليله .

قال أهل السنة : من اعتقد أركان الدين من التوحيد والنبوة والصلاة والزكاة والصوم والحج تقليداً وجزم على ذلك الاعتقاد فهو مؤمن عاص بترك النظر والاستدلال المؤديين إلى معرفة قواعد الدين كسائر فساق المسلمين وهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه بقدر ذنبه وعاقبة أمره الجنة لا محالة وهو مذهب أبي حنيفة ومالك

والشافعي واحمد بن حنبل والأوزاعي والثوري وداود الظاهري
وأكثر المتكلمين .

وقال الأشعري وطائفة من المتكلمين لا يستحق أن يطلق عليه
اسم الإيمان إلا بعد أن يعرف كل مسألة من مسائل أصل الدين
بدليل عقلي غير أن الشرط أن يعرف ذلك بقلبه سواء أحسن
العبارة عنه أو لا .

ودليل أهل السنة أن أبابكر الصديق رضي الله عنه قبل إيمان من
آمن من أهل الردة ولم يعلمهم الدلائل التي يصيرون بها
مستبصرين من طريق العقل وكذا عمر رضي الله عنه لما فتح
سواد العراق قبل هو وعماله إيمان من كان بها من الزط
والأنباط وهما صنفان من الناس مع قلة أذهانهم وبلادة أفهامهم
وصرفهم أعمارهم في الفلاحة وضرب المعاول وكري الأنهار
والجداول ولو لم يكن إيمان المقلد معتبراً لفقد شرطه وهو
الاستدلال العقلي لا تشتغلوا بأحد أمرين إما بالإعراض عن قبول
الإسلام أو بنصب متكلم حاذق بصير بالأدلة ليعلمهم صناعة
الكلام ولما لم يحدث شيء من هذا لأنه خلاف صنيع رسول
الله ﷺ وأصحابه العظام وغيرهم من الأئمة الأعلام أدر كنا
صحة ماذهب إليه أهل السنة .

زيادة الإيمان ونقصانه

إن كان المراد بالإيمان التصديق فلا يقبل الزيادة والنقصان وهو المصروف إلى أصل الإيمان والتصديق شيء واحد وهو الاعتقاد الجازم ، وإن كان المراد بالإيمان الطاعات فهي مكملة للتصديق وهو الإيمان الكامل المقرون بالعمل . فكل ما دل على كون الإيمان يقبل الزيادة والنقصان فهو مصروف إلى الكامل هو المقرون بالعمل .

والإيمان على هذا قول وعمل ويزيد وينقص وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وبه قال من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وعائشة وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وحذيفة وعمار وسلمان وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم ومن التابعين كعب الأحرار وعروة وعطاء وطاوس ومجاهد وعمر بن عبد العزيز والأعمش وابن المبارك والنضر بن شميل وغيرهم والشافعي وأحمد وأبو ثور رضى الله عنهم جميعا .

قول الشافعي رحمه الله في الإيمان

نقل عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال الإيمان هو التصديق والإقرار والعمل فالحلُّ بالأول وحده منافق والثاني

وحده كافر وبالثالث وحده فاسق ينجو من الخلود في النار
ويدخل الجنة .

الإيمان المنجي من الخلود في النار

الإيمان المنجي من الخلود في النار باتفاق أهل السنة ماعدا
المعتزلة والخوارج هو تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام في
كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقا جاز ما مطلقا سواء كان
لدليل أم لا وهو الذي لا يعتبر فيه كونه مقرونا بالعمل وهو
الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من إيمان » (١) . ومثله أيضا قوله عليه الصلاة
والسلام : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك
إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن
سرق » (٢) ... الحديث والراوي أبو ذر .

وقول العبد لا إله إلا الله معناه إقرار لسانه بتصديق قلبه . لا
مجرد التلفظ باللسان فحسب فإنه لا ينفع بدون تصديق القلب
كما مر .

(٢) مسلم بشرح النووي ٩٤/٢ .

(١)

الإيمان المنجي من دخول النار

الإيمان المنجي من دخول النار باتفاق جميع المسلمين هو الإيمان الكامل وهو التصديق والإقرار مقرونان بالعمل كما في حديث وفد عبد القيس الذي رواه مسلم وفيه أمرهم بالإيمان وحده وقال : هل تدرّون ما الإيمان ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمسا من المغنم ^(١) . وكما في حديث أبي أيوب قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار قال تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذا رحمك فلما أدبر قال رسول الله ﷺ : « إن تمسك بما أمر به دخل الجنة » ^(٢) .

المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة

اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ما قاله النووي إن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ونطق مع ذلك بالشهادتين قال فإن اقتصر

(٢) مسلم بشرح النووي ١٧٣/١ .

(١) مسلم بشرح النووي ١٨٨/١ .

على أحدهما لم يكن من أهل القبلة بل يخلد في النار إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه لمعالجة المنية أو لغير ذلك فإنه حينئذ يكون مؤمناً بالاعتقاد من غير لفظ .

هل الإيمان مخلوق

نقل عن الإمام احمد وجماعة من أهل الحديث أنهم قالوا الإيمان غير مخلوق وذهب جماعة إلى أن الإيمان مخلوق . وأحسن ما قيل فيه ما روى عن الفقيه أبي الليث السمرقندي أنه قال إن الإيمان إقرار وهداية . فالإقرار صنع العبد وهو مخلوق والهداية صنع الرب وهو غير مخلوق .

الكفر

الكفر في اللغة التغطية وكفر الشيء يكفره كفرا ستره وغطاه والكافر : الليل المظلم لأنه يستر بظلمته كل شيء وكفر الليل الشيء وكفر عليه . والكافر : البحر لستر ما فيه ، والوادي العظيم ، والسحاب المظلم ، والكافر : الزارع لستره البذر بالتراب ومنه قوله تعالى : ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ﴾ أى أعجب الزراع نباته والكافر : الدرع لسترها ما تحتها .

ومن ذلك سمي الكافر كافراً لأنه ستر نعم الله فالكافر لما

دعاه الله إلى توحيدہ فقد دعاه إلى نعمة وأحبها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه فلما أبى ما دعاه إليه من توحيدہ كان كافراً نعمة الله أي مغطياً لها يباثه حاجباً لها عنه فالكفر يأتي بمعنى الستر وهو الأصل وهو باب ضرب يضرب ضرباً كفر يكفر كفوفاً . والكفر ضد الإيمان وهو المعنى الاصطلاحي من باب نصر ينصر كفر يكفر كفوفاً . وهو التكذيب والجحود ويكونان بالقلب . قال بعض أهل العلم الكفر على أربعة أنحاء :

(١) كفر إنكار بأن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به .

(٢) كفر جحود ككفر إبليس يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه .

(٣) كفر معاندة فهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا

يدين به حسداً وبغياً ككفر أبي جهل وأضرابه .

وفي التهذيب : يعترف بقلبه ويقر بلسانه ويأبى أن يقبل

كأبي طالب حيث يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذلك مينا

(٤) كفر نفاق بأن يقر بلسانه ويكفر بقلبه ولا يعتقد به .

ويأتي الكفر بمعنى ستر النعمة وهو دون الكفر الذي هو ضد

الإيمان .

وأعظم الكفر جحود الوجدانية أو النبوة أو الشريعة كجحود
البعث والجزاء ووجوب الصلاة والزكاة وحرمة الخمر ونحوها
والكافر المتعارف عليه من يجحد الجميع ، والكفران في جحود
النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين قال تعالى في الكفران
: ﴿ ليلوني أشكر أم أكفر ﴾ . وقال تعالى في الجحود : ﴿
ولا تكونوا أول كافر به ﴾ .

ونعم الله تعالى آياته الدالة على توحيده والنعم التي سترها
الكافر هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا
شريك له وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة والكتب
المنزلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة فمن لم يصدق بها
وردها فقد كفر نعمة الله أي سترها وحجبها عن نفسه .

فظهر أن الكفر كفران كفر يخرج من الملة كالكفر بأقسامه
الأربعة المتقدمة وكفر لا يخرج من الملة وهي المعاصي تسمى
كفراً مجازاً لكن حيث يطلق عليها لا يراد به الكفر المخرج عن
الملة ومنه قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الكافرون ﴾ . سئل ابن عباس عن قوله تعالى ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فقال : هم كفرة
وليسوا كمن كفر بالله واليوم الآخر . ومنه أيضاً حديث ابن

عباس كما في البخاري « ورأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر » (١) .. الحديث .
 معنى يكفرن العشير : يجحدن إحسان أزواجهن ومثله حديث ابن عباس « إن الأوس والخزرج ذكروا ما كان منهم في الجاهلية فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف فأنزل الله تعالى : ﴿ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ﴾ ولم يكن ذلك على الكفر بالله ولكن على تغطيتهم ما كانوا عليه من الألفة والمودة . ومثله الحديث « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

الردة

الردة في اللغة : الرجوع مطلقاً وفي الشرع الرجوع عن دين الإسلام ويكون باللسان كإجراء كلمة الكفر عليه بعد الإيمان ويكون باعتقاد باطل أو نية الكفر بعد حين أو تكذيب النبي ﷺ في شيء مما جاء به الدين ضرورة أي ثبت على وجه القطع ولا يعني التكذيب بأن يقول إن رسول الله ﷺ كاذب في كذا فإن مجرد نسبة الكذب إليه ﷺ كفر . فإذا كانت

(١) فتح الباري ١/٧٨ .

الآية أو الخبر المتواتر قطعي الدلالة كان الجحود كفوفاً أما إذا لم تكن الآية أو الخبر المتواتر قطعي الدلالة أو لم يكن الخبر متواتراً أو كان قطعياً لكن فيه شبهة أو لم يكن الإجماع إجماع الجميع أو كان ولم يكن إجماع جميع الصحابة أو كان إجماع جميع الصحابة ولم يكن قطعياً بأن لم يثبت بطريق التواتر أو كان قطعياً لكن كان إجماعاً سكوتياً ففي كل هذه الصور لا يكون الجحود كفوفاً ومن اعتقد تحريم الحلال أو تحليل الحرام كما إذا قال الخمر ليس بحرام كفر .

واعلم أخي المسلم أنه لا يخرج الرجل من الإيمان إلا إنكار ما أدخله فيه ، ثم ما يُثبَّن أنه ردة يحكم بها ، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها . فإسلام الثابت لا يزول بالشك . وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام وفي الفتاوى الصغرى : الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت رواية أنه لا يكفر . وفي كتاب الخلاصة وغيرها : إذا كان في المسألة وجوة توجب التكفير ووجه واحد يمنعه فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسناً للظن بالمسلم .

وعليه فلا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل

حسن أو كان في كفره اختلاف .

والمستخف بدينه إذا سب دينه كفر وإن لم يعتقد الكفر .
من سب النبي ﷺ فإنه يقتل ولا تقبل توبته وهو قول مالك
والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعي وبمثلته قال أبو
حنيفة وأصحابه والثوري ولكنهم قالوا إنها ردة . ومن سب الله
تعالى وعرش الرحمن والكرسي والملائكة ارتد فإذا تاب قبلت
توبته وكل من تكلم بكلمة الكفر هازلاً أو لاجباً كافر ولا ينظر
إلى اعتقاده . ومن تكلم بها مخطئاً أو مكرها لا يكفر عند عامة
أهل العلم . والإكراه يراد به الإكراه الملجئ ويكون بقتل أو
قطع عضو أو ضرب مبرح فإنه يرخص له أن يظهر ما أمر به على
لسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا تبين زوجته استحساناً . وكل
مسلم ارتد فتوبته مقبولة .

فتوى

طالب علم ذكر عنده حديث نبوي فقال : أكل أحاديث

النبي ﷺ صدقٌ يعملُ بها ؟

والجواب : هذا الطالب يكفر أولاً بسبب استفهامه

الإنكاري وثانياً بإلحاقه الشين للنبي ﷺ ففي كفره الأول عن

اعتقاد يؤمر بتجديد الإيمان فلا يقتل والثاني يُفيد الزندقة فإن

تاب قبل أن يرفع إلى الحاكم تقبل توبته عند الحنفية وبعد رفعه إلى الحاكم لا تقبل اتفاقاً .

وساب الشيخين أبي بكر وعمر بدون قذف للسيدة عائشة ولا إنكار لصحبة الصديق ضالاً ومبتدعٌ ولا يعد كافراً وتوبته مقبولة إن شاء الله تعالى .

وقاذف السيدة عائشة بالزنا كافر وكذلك منكر صحبة الصديق كافر لأنه منكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة والقائل بقدم العالم ونفي حشر الأجساد ونفي العلم بالجزئيات كافر أيضاً .

والخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويكفرون الصحابة حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة ، والذين يسبون عامة الصحابة ويكفرونهم أهل ضلال وبدعة .

حكم السحر وتعلمه

والسحر حرام بلا خلاف بين أهل العلم واعتقاد إباحته كفر وقال الحنفية ومالك وأحمد يكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد الحرمة أم لا ويقتل ، وعند الشافعي لا يقتل ولا يكفر إلا إذا اعتقد إباحته وأما الكاهن فقيل هو الساحر وقال السيوطي

الكاهن من يتعاطى الخبر عن الكائنات في المستقبل ويدّعي معرفة الأسرار والغيوب ، والعراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق والضالة ، والنجم هو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه ، والرمال الذي يضرب بالحصى ويدعي أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون فالكاهن يكفر بادعائه علم الغيب وبإتيان الكاهن يكفر وبتصديقه يكفر .

وقال الحنفية إن اعتقد أن الشياطين يفعلون له ما يشاء كفر ، وإذا قال العراف أنا أعلم المسروقات أو أخبر عن إخبار الجن إياي كفر . وعند الشافعي إن اعتقد ما يوجب الكفر مثل التقرب إلى الكواكب وأنها تفعل ما يلتمسه كفر . وعند أحمد حكمه كالساحر في رواية يقتل وفي رواية إن لم يتب . ويجب أن لا يعدل عن مذهب الشافعي في كفر الساحر والعراف وعدمه . وأما قتل الساحر فيجب ولا يستتاب إذا عرفت مزاولته لعمل السحر لسعيه بالفساد في الأرض لا بمجرد علمه إذا لم يكن في اعتقاده ما يوجب كفره ، وإذا اتخذ الساحر لعبة ليفرق بين المرء وزوجه قالوا هو مرتد ويقتل إن كان يعتقد لها أثراً أو يعتقد التفريق من اللعبة لأنه كافر فإنه يدعي بذلك الخلق من نفسه فيكفر . والساحر إذا سحر وثبت سحره وهو

جاحد لا يستتاب من سحره ويقتل دفعاً للضرر عن الناس .
 وإذا سحر الساحر تجربة ولا يعتقد به لا يكفر . وسواء كان
 الساحر مسلماً أو ذمياً وأقر بسحره يقتل ولا يستتاب .
 والسحر في نفسه حق وهو أمر كائن إلا أنه لا يصلح إلا للشر
 والضرر بالخلق والوسيلة إلى الشرشر فيصير مذموماً .
 فنفس الساحر ليس كفراً عند الحنفية كالشافعية بل لا يكفر
 صاحبه ما لم يقترن بمكفر والقول بأن الساحر كفر على
 الإطلاق خطأ وكفر الساحر باعتقاده لا بسحره . ونسبة الخلق
 لنفسه لا بسحره .

الزنديق والمنافق والدهري والملحد

الزنديق : في اللغة يطلق على من ينفي الباري تعالى وعلى
 من يثبت الشريك وعلى من ينكر حكمته جل جلاله وقد لا
 يكون الزنديق مرتداً كما لو كان زنديقاً أصلياً غير منتقل عن
 دين الإسلام ، والمرتد قد لا يكون زنديقاً كما لو تنصر أو تهود
 وقد يكون مسلماً فيتزندق وهو المرتد والزنديق في اصطلاح
 الشرع هو الذي يظن الكفر ويعترف بنبوة نبينا ﷺ .
 والزنديق والمنافق والدهري والملحد مشتركون في إبطان الكفر
 والمنافق غير معترف بنبوة نبينا ﷺ والدهري يظن الكفر ولا

يعترف بنبوة نبينا ﷺ وينكر إسناد الحوادث إلى الصانع المختار سبحانه وتعالى .

والملحد ، من مال عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر من ألد في الدين أي حاد وعدل عنه ولا يشترط في الملحد الاعتراف بنبوة سيدنا محمد ﷺ ولا بوجود الصانع تعالى وبهذا فارق الدهري أيضاً كما لا يشترط في الملحد إضمار الكفر وبه فارق المنافق ولا سبق الإسلام وبه فارق المرتد . فالملحد أعم من الكل .

حكم الزنديق

الزنديق إن كان من مشركي العرب من الأصل فإنه لا يترك حتى يسلم أو يقتل وإن كان من مشركي العجم فإنه يترك وإن كان ذمياً ترك على حاله لأن ملة الكفر واحدة . هذ كله إذا لم يكن معروفاً داعياً إلى الضلال وأما إذا كان الزنديق معروفاً داعياً إلى الضلال فلا يخلو إما أن يتوب بالاختيار ويرجع عما فيه قبل أن يؤخذ أو لا يتوب فإن تاب فيها ونعمت وإلا قتل .

الإباحي

ومثل الزنديق الإباحي وهو الذي يعتقد إباحة الحرمات وهو معتقد الزنادقة وقد فسر الزنديق بأنه القائل ببقاء الدهر والذي

يعتقد بأن الأموال والحرم مشتركة .

ومن الزندقة أيضاً ما يدعيه بعض من يدعى التصوف أنه بلغ حالة بينه وبين الله أسقطت عنه الصلاة وحل له شرب المسكر والمعاصي وأكل مال الدولة فهذا ما لا شك في وجوب قتله إذ ضرره في الدين أعظم وينفتح به باب من الإباحة لا ينسد وضرر هذا فوق من يقول بالإباحة مطلقاً ويمتنع عن الإصغاء إليه لظهور كفره فإنه يزعم أنه وصل إلى درجة من الدين خص من بين سائر عموم المكلفين باسقاط التكليف عنه وربما يشتهر هذا فيدعي كل فاسق مثل حاله .

فمثل صاحب هذه البدعة بدعته توجب الكفر فيباح قتله إذا لم يرجع ولم يتب وإذا تاب وأسلم قبلت توبته إلا الإباحية والقرامطة والزندقة من الفلاسفة لا تقبل توبتهم بحال من الأحوال لأنهم لم يعتقدوا بالصانع تعالى حتى يتوبوا ويرجعوا إليه .

ومن الزندقة أيضاً إنكار بعض الضروريات الشرعية في الباطن وإظهار اعتقاد حرمتها كحل الخمر والزنا وأن الألوهية تظهر في شخص بعد شخص وجحود الحشر والصوم والصلاة والحج والقول بأن ألفاظها غير المعنى المراد والتكلم في جناب

نبينا ﷺ كلمات فظيعة حول زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين .

فالإقرار بالشهادتين مع مثل هذه الإنكارات والاعتقادات الخبيثة لا يجعلهم في حكم المرتد لعدم التصديق ويصدق عليهم اسم المنافقين والملحدين والزنادقة .

بعض تصرفات المرتد

والمرتد يطل منه النكاح والذبيحة والصيد والشهادة والإرث . فعقد النكاح يفسخ ولا تؤكل ذبيحته ولا صيده وترد شهادته ولا يرث أحداً ولا يرثه أحد مما اكتسبه في رده . والردة محبطة ثواب جميع الأعمال التي كان عملها في الإسلام وإذا عاد إلى الإسلام إن عاد في وقت صلاة صلاها فعليه أدائها ثانياً وكذا يجب عليه الحج ثانياً إن كان حج لأن سببه البيت المكرم وهو باق بخلاف غيره من العبادات التي أداها لخروج سببها فإذا صلى الظهر مثلاً ثم ارتد ثم تاب في الوقت يعيد الظهر لبقاء السبب وهو الوقت .

هذا وقد أتيت على بيان الإيمان والكفر والمؤمنين والكافرين وَعَلِمَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُقْصُودُونَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الْحَبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ وَيَلْحَقُ بِهِمُ الْعَصَاةُ الَّذِي يَرْتَكِبُونَ مَا نَهَى اللَّهُ

ورسوله عنه ويتساهلون فيما أمر الله ورسوله به فهؤلاء الفساق
يجب أن نبغضهم في الله ونعاديهم في الله امثالاً لأمر الله
وسأعرض لهم إن شاء الله في نهاية الشعبة من خلال مجانية
الظلمة والفسقة والمبتدعة .

والآن أذكر الآيات التي نهى الله فيها عن موالة الكافرين .
ومن والاهم من المؤمنين فقد عرض إيمانه إما للفساد وإما
للنقصان . وأبين بعدها حكم موالة الكافرين وحكم الاستغفار
وطلب الرحمة لأهل الشرك . وحكم إقامة المسلم بين أظهر
المشركين ووجوب الهجرة ومجانبة الظلمة والفسقة والمبتدعة
ومن لا يعين على طاعة الله عز وجل .

لا يجتمع الإيمان وموادة أعداء الله

فأقول : قال الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم
أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم
بروح منه ﴾ ... الآية .

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : المعنى أنه لا يجتمع
الإيمان مع وداد أعداء الله وهو على وجهين :
أحدهما أنهما لا يجتمعان في القلب فإذا حصل في القلب

وداد أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان فيكون صاحبه منافقاً .
الثاني أنهما يجتمعان ولكنه معصية وكبيرة وعلى هذا الوجه
لا يكون صاحب هذا الوداد كافراً بسبب هذا الوداد بل يكون
عاصياً لله تعالى .

وقال الخازن في تفسير هذه الآية : أخبر الله تعالى أن إيمان
المؤمنين يفسر بموادة الكافرين ، وإن من كان مؤمناً لا يوالي من
كفر لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه . فإن قلت : قد
أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم
فما هذه الموادة المحظورة ؟ قلت : الموادة المحظورة هي مناصحتهم
وإرادة الخير لهم ديناً ودنياً مع كفرهم فأما ماسوى ذلك فلا
حظر فيه . ومودة المؤمن للكافر محظورة ولو كان أباه أو ابنه أو
أخاه أو من عشيرته وبدهي أن الإنسان يميل إلى ود أهله وقرابته
إلا أن الله تعالى منع من ذلك فهذا أبو عبيدة ابن الجراح قتل
أباه الجراح يوم أحد ، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه دعا
ابنه يوم بدر إلى البراز وقال للنبي ﷺ يارسول الله دعني أكن
في الرعدة الأولى - وهي القطعة من الخيل - فقال له رسول
الله ﷺ : « متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة
سمعي وبصري » .

وهذا مصعب بن عمير يقتل أخاه عبيد بن عمير ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر . وهؤلاء على بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر .

فمتى سرى الإيمان إلى القلب وتمكن منه وخالطت بشاشته القلوب لم يبق فيه محل لموادة أعداء الله تعالى .
وهذه السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق المؤمنة تأتيها أمها المشركة زائرة طالبة الصلوة فلم تدخلها وأبقتها خارج البيت وأرسلت تستأذن رسول الله ﷺ في ذلك فأذن لها .

وهذه السيدة رملة بنت أبي سفيان يدخل عليها أبو سفيان أبوها فتطوي فراش رسول الله ﷺ وتحول بينه وبين الجلوس عليه قبيل فتح مكة ولم يكن أسلم يومئذ . وإنما دفعهم إلى ذلك حبهم لله عز وجل من خلال قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

ولما زلت قدم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ودس خبر استعداد النبي ﷺ لفتح مكة مع ظعينة إلى أهل مكة أطلع الله

عز وجل نبيه ﷺ على ذلك فأرسل في طلب الكتاب ثلاثة من الصحابة وردوا الكتاب وأنزل الله عز وجل نهيه المؤمنين عن موالاة الكافرين وإليك الخبر كما ورد .

روى البخاري عن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها قال : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة قلنا لها أخرجي الكتاب قالت : ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما هذا ؟ قال : يارسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأً ملصقاً في قريش يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ أما إنه قد صدقكم فقال عمر يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال : إنه قد شهد

بدرأً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرأً قال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ إلى قوله ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١)

ولم يزل القرآن يؤدب المؤمنين كلما رتعوا في هواهم ويشدهم إليه ليكونوا عبيداً لله تعالى خالصاً فقد قيل إن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الأحزاب يارسول الله : إن معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ فنهى الله تعالى عن موالاته الكافرين لقربة بينهم أوصداقة قبل الإسلام أوغير ذلك وأن يوادوهم ويحبوهم ويعاشروهم ويتخذوا منهم أنصاراً وأعواناً وحسبهم المؤمنون فإن في موادتهم وحبهم مندوحة عن موالاته الكافرين ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء لأن موالاته الولي وموالاته

(١) فتح الباري ٧/٤٠٠ .

العدو متنافيان . ويستثنى من ذلك خوف المؤمنين على أنفسهم أو بلادهم من الكافرين أمراً يجب اتقاؤه فحينئذ يجوز للمؤمنين إظهار الموالاتة وإبطان المعاداة .

وقد توعد الله تعالى المؤمنين من عصيانه بارتكابهم المنهي عنه وهو موالاتة الكافرين وتعرضهم لسخطه بمصيرهم ورجوعهم إليه لا محالة وإذاقتهم العذاب المعد لديه .

ومن الموالاتة الممنوعة أن يتخذ المؤمن لنفسه بطانة من الكافرين والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره بخصوص بمزيد القرب لأنه كبطانة الثوب يطلع على ما يطلع عليه غيره فلا يحل لمسلم أن يجعل عيبته وموضع سره من كفر بالله تعالى ومعلوم أن المستشار مؤتمن والمؤمن وحده الأمين وأما الكافر فلا أمان له ولا أمانة ولا يقصر ولا يألو جهداً في إذاية المسلم وإرادة الشر والضرر له . فهو لا يريد له الخير أبداً والذي أخبر بذلك الرب جل وعلا الذي فطر الناس جميعاً وهو وحده العليم بما يدور في ضمائر أهل الشرك نحو المؤمنين فإذا كان ربنا حذرنا في كتابه بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ

الآيات إن كنتم تعقلون ﴿ . ثم وصف أولئك الكفرة بأمر يعلمه هو وحده فقال هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور .

فما علينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا وترك موالاتهم وإفشاء أسرارنا لهم لأنهم لا يفعلون معنا كما نفعل معهم فنحن نفشي إليهم أسرارنا ولا يفشون إلينا أسرارهم .

فالمؤمن يسارع إلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهي الله عز وجل ، فهذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه يختصم مع عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فيقول عبادة إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية اليهود فإني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي ﷺ يا أبا الحباب - كنية ابن أبي - ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال إذاً أقبل فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿١﴾ .
 فالوفا للوفا من موالات الكافرين بعد هذا التعليم من الله
 والتشديد فمن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم
 على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم لأنه لا يتولى مولى أحد
 إلا وهو راض به وبدينه وإذا رضي ورضي دينه صار منهم فعلى
 المؤمن أن يجانب اليهود والنصارى وكل من خالف دين
 الإسلام ، وليعلم أن الله تعالى لا يوفق من وضع الولاية في غير
 موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ورسوله
 وللمؤمنين .

قدم أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنهما
 بحساب فرفعه إلى عمر فأعجبه وجاء عمر كتاب فقال لأبي
 موسى أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس ؟ فقال : إنه لا
 يدخل المسجد ، فقال : لم أجُئْتُ هو ؟ قال : إنه نصراني فقال
 مالك وله قاتلك الله ألا اتخذت حنيفاً يعني مسلماً أما سمعت
 قول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ قلت : له دينه ولي
 كتابته فقال لا أكرمهم إذا أهانهم الله ولا أعزهم إذا أذلهم
 الله ، ولا أدنيهم إذا أبعدهم الله . قلت : إنه لا يتم أمر البصرة

إلا به فقال : مات النصراني والسلام . يعني هب أنه مات فما تصنع بعده ؟ فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين .

حكم موالة الكافرين

إذا كان المؤمن مقيماً بين أظهر الكافرين يخاف على نفسه وماله منهم ولا يقدر على الهجرة إلى بلد يطمئن فيها على دينه فله أن يداريهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا بأس عليه بذلك إن شاء الله تعالى . وكذلك إذا كان الكفار غالبين ظاهرين يخاف المؤمن على نفسه وماله منهم فيجوز للمسلم إظهار الموالة وإبطان المعادة على أن لا يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً أو غير ذلك من المحرمات أو يطلع الكفار على عورات المسلمين ، وبشاشة المسلم في وجه الكافر في هذه الحالة لا تضر فالضرورات تبيح المحرمات وعلى القلوب المعول وقال رسول الله ﷺ : « إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » .
ومن استحل من المؤمنين موالة الكافرين فقد ارتد عن الإسلام لأنه أحل ما حرم الله ونهى عنه ، ومن والى الكافرين طواعية من غير اضطرار غير مستحل لها فهو مؤمن عاص مرتكب كبيرة والدليل عليه فعل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله

عنه الذي لم يوجب رده ظنا منه جواز ذلك ، ولو كان فعله
يوجب الإكفار لاستتابه النبي ﷺ فلما لم يستتبه وصدقه على
ما قال علم أنه ما كان مرتدأً . وقد يقول قائل : قد أخبر النبي
ﷺ إنه إنما منع عمر من قتله لكونه شهيداً بدرأً وقال وما يدريك
لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم فجعل العلة المانعة من قتله كونه من أهل بدر .

والجواب على هذا ليس كما ظننت لأن كونه من أهل بدر
لا يمنع أن يكون كافراً مستحقاً للنار إذا كفر ولكن معناه وما
يدريك لعل الله قد علم أن أهل بدر وإن أذنبوا لا يموتون إلا
على التوبة ، ومن علم الله منه وجود التوبة إذا أمهله فغير جائز
أن يأمر بقتله أو يفعل ما يقطع عن التوبة .

فيجوز أن يكون مراده إن في معلوم الله أن أهل بدر وإن
أذنبوا فإن مصيرهم إلى التوبة والإنابة . قاله الجصاص .

مناكحة أعداء الله

معلوم أن نكاح الكتابيات جائز شرعاً لكن ظواهر الآيات
التي نحن بصددنا تشير إلى كراهية مناكحة الكتابيات لأن
المناكحة توجب المودة ونحن منهيون عنها قال تعالى : ﴿ ومن

آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴿

حكم الاستغفار للمشرك

قال كثير من أهل العلم لا بأس أن يدعو الرجل المؤمن لأبويه الكافرين ويستغفر لهما مادما حين فأما من مات فقد أنقطع عنه الرجاء فلا يدعى له . فالاستغفار للأحياء جائز لأنه مرجو إيمانهم ويمكن تألفهم بالقول الجميل وترغيبهم في الدين .

وعلى هذا كان استغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه حين كان على قيد الحياة وكان أبوه وعده أن يؤمن بالله ويخلع الأنداد فلما مات على الكفر تبرأ منه الخليل كما قال تعالى : ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ يؤكد هذا المعنى .

فقد قال ابن عباس كانوا يستغفرون لموتاهم فلما نزلت الآية أمسكوا عن الاستغفار ولم ينههم عن الاستغفار للأحياء حتى يموتوا .

وجواز الاستغفار للمشرك إذا كان على قيد الحياة أحد أقوال
ثلاثة وهو قول كثير من أهل العلم .

القول الثاني المراد بالاستغفار في الآية (ما كان للنبي
والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الصلاة قال عطاء بن أبي
رباح الآية في النهي عن الصلاة على المشركين .

القول الثالث : صح أن النبي ﷺ قال يوم أحد حين كسروا
رباعيته وشجوا وجهه اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون لكنه
قال ذلك على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الأنبياء وهو نوح
عليه السلام .

فقد روى مسلم عن عبد الله قال كآني أنظر إلى رسول الله
ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن
وجهه ويقول رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون (١) .

وعلى هذا فلا تطلب الرحمة لمن مات على شركه وإنما
تطلب الرحمة من الله لمن مات مسلماً .

والدا النبي ﷺ

من الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ الإمساك عن ذكر
والديه ومن التآلي على الله عز وجل أن يحكم على أمر لم

(١) مسلم ١٤١٧/٣ .

يطلع عليه وكون حديث الأحاد الوارد في صحيح مسلم إن
أبي وأباه في النار لا يعارض الآية الكريمة : ﴿ إن الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً
مهيناً ﴾ .

ولقد أشفق الصحابة الكرام الذين صحبوا رسول الله ﷺ
في سفره الذي زار فيه قبر أمه بعد إذن الله تعالى له بزيارتها
وعدم الإذن بالاستغفار لها وبكائه ﷺ عند قبر أمه البكاء
الشديد . أفلا يكون إيذاء الحكم بأن أبوي الرسول ﷺ في
النار ولو جئنا من باب الدراية وبحثنا في السن الذي توفي فيه
عبد الله وآمنة والدا رسول الله ﷺ لوجدنا أنه توفي عبد الله
وعمره في إحدى الروايتين ثمان عشرة سنة وفي الثانية خمس
وعشرون سنة وعمر أمه ثمان عشرة سنة .

وسن التكليف خمس عشرة سنة فيكون قد قضيا في زمن
الفترة ثلاث سنين فقط لم يبعث في خلالها رسول يبلغ رسالة
الله . وأهل الفترة ثلاثة أقسام : القسم الأول من أدرك التوحيد
ببصيرته وهم ناجون . القسم الثاني من بدل وغير وشرع لنفسه
وهم هالكون . القسم الثالث من لم يشرك ولم يوحد وبقي
عمره على حين غفلة . فأهل القسم الثاني يعذبون لكفرهم .

وأهل القسم الثالث هم أهل الفترة ويدخل فيه أبوا النبي ﷺ . وقد ذكر النبي ﷺ أن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ففي الحديث الصحيح ... أهون أهل النار عذاباً أبو طالب (١) .

فاذا كان أبو طالب أهون أهل النار عذاباً وهو الذي بلغته الدعوة ومكث قرابة عشرين سنة بعد بلوغه الدعوة ولم يسلم وهو أدنى أهل النار عذاباً. فأين مكان عبد الله والد رسول الله ﷺ الذي لم تبلغه الدعوة البتة وعاش بعد البلوغ ثلاث سنين؟ ثم قد ورد حديث ضعيف بأن الله أحيا له أبويه وهذا ليس بعيد ويرحم الله القائل :

حبا لله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلا منيفاً
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفاً

ومن الأدب السكوت في هذا المقام واحذر من ذكر الأبوين بما فيه نقص فإن ذلك قد يؤذي النبي ﷺ فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » رواه الطبراني في الصغير ولا ريب أن أذاه

(١) مسلم ١/١٩٦ .

عليه الصلاة والسلام كفر يقتل فاعله . قال الحافظ ابن حجر :
والظن بآله الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان
إكراما له ﷺ لتقر عينه . ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب
الجنة في جملة من يدخلها طائعا فينجو إلا أبا طالب فإنه أدرك
البعثة ولم يؤمن اه .

أقول إياك وأن تذكر أبوي النبي ﷺ بنقص ولا تترض
عنهما ولا تصل عليهما والزم الأدب مع الله تعالى في ذلك .
ولم يرد عن النبي ﷺ الصلاة عليهما ولا الاستغفار لهما .
وظننا بالله أنه لن يسوء رسول الله ﷺ في أبويه ولا في أمته
وهو المنزل عليه قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك
فترضى ﴾ .

حكم الإقامة مع أهل الشرك

المسافرون إلى أرض المشركين أقسام قسم لطلب العلوم
الكونية فإذا فرغوا عادوا إلى بلادهم مزودين بالعلوم والمعارف
المختلفة التي تعود عليهم وعلى بلادهم وأهلها بالخير والعزة
والقوة . وقسم للتجارة وتحقيق الأرباح فهم يعقدون صفقات
وتجارات تعود عليهم بالأرباح الوفيرة ولأهل بلادهم باليسر
والسعة يتمثلون قول الله تعالى : ﴿ وآخرون يضربون في
الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ . وقسم للسياحة والمتعة ، وقسم

اضطرتهم ظروفهم إلى السفر فسافروا رغماً عنهم وفي نيتهم العودة متى سنحت لهم الظروف ، وهؤلاء قسمان قسم اضطنعوا الظروف بأنفسهم فأقدموا على أمور محرمة من تلقاء أنفسهم وبرضاهم واختيارهم ثم فروا من سلطان القضاء فلدجأوا إلى بلادالشرك خوفاً من سيف الحق ، وقسم خشوا على أنفسهم من يد ظالمة تمسهم أو تمس أموالهم ولم يجدوا بلداً غير بلاد الشرك فدخلوها بنية المقام فيها وفي نيتهم الرجوع إلى بلادهم متى زال سلطان الظالم . وقسم وجدوا بلاد الشرك أكثر رقياً وأمتع حياة فآثروا المقام فيها على المقام في بلاد الإسلام . فأقاموا فيها مصالحهم وتجاراتهم وتكيفوا مع أهلها وعاشوا بين ظهرانيمهم .

فأما القسم الأول الذين سافروا إلى أرض المشركين لطلب العلوم الكونية المختلفة فإن احتسبوا سفرهم عند الله ولم يخلوا بشرع الله وتآدبوا بآداب الإسلام وتخلقوا بأخلاقه وتزودوا بالعلوم والمعارف المختلفة فمرجو الله تعالى لهم الثواب على عدم تعطيلهم الفرض الكفائي المطالب به جماعة المسلمين على سبيل الكفاية وإن لم يحتسبوا ذلك فليس لهم أجر عند الله تعالى .
وأما القسم الثاني الذين سافروا ابتغاء التجارة فإن كانت

الأصناف التجارية مما يحتاجها المسلمون وأهل تلك البلاد واحتسبوا ذلك عند الله ونووا بشرائها قضاء مصالح العباد ولم يكن في تلك الأصناف ما يتعارض مع شيء من أصول الشريعة وفروعها فهم مأجورون عند الله تعالى . وإن كان فيها ما يتعارض مع روح الشريعة وأصولها وفروعها فهم مأزورون عند الله تعالى قد روجوا بضاعة المشركين وقووا من كفر بالله على من آمن بالله . وأما الشق الثاني من القسم الثالث الذين خشوا على أنفسهم من اليد الظالمة أن تمسهم وتمس أموالهم وما وجدوا غير بلاد الشرك مأوى يحتمون فيها وفي نيتهم الرجوع إلى بلادهم متى سنحت لهم الظروف فهؤلاء أيضاً لا حرج عليهم من المقام في بلاد الشرك .

وأما الشق الأول من القسم الثالث الذين اصطنعوا الظروف بأيديهم فأقدموا على أمور محرمة برضاهم واختيارهم ثم فروا من سيف الحق إلى بلاد الشرك . وكذلك القسم الرابع الذي آثر المقام في بلاد المشركين ونفعهم وتكثير عددهم فأقام مصالحه ومعايشه في ديارهم لكونها أكثر رقياً وأمتع حياة فهذان القسمان مهددان بالآية الكريمة : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض

قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴿ كانت هذه الآيات نزلت في قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروهوا فاستغفروا لهم فنزلت الآية فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم فكل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وَبِنَصِّ الْآيَةِ .

روى أبو داود بسنده إلى سمرة بن جندب أما بعد قال رسول الله ﷺ : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » (١) .

وروى البيهقي في الشعب عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال : « من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة » (١) .

(١) تفسير ابن كثير ٥٤٢/١ .

وروى أيضاً عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أنا بريء من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين » قالوا يارسول الله ولم ؟ قال : « لا تراءى ناراهما » (١) . معناه يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالموضع الذي إذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم . ذلك أن مجاورة المشركين مكروهة لأنهم لا عهد لهم ولا أمان . فقد علمت أن القسم الرابع والأول من القسم الثالث تنطبق عليهما الآيات الشريفة والأحاديث المنيفة وقد أحبيت أن أذكر أقسام الهجرة وحكمها كما ذكرها ابن العربي في أحكام القرآن .

أقسام الهجرة وأحكامها

قال القاضي أبو بكر بن العربي السفر في الأرض تتعدد أقسامه من جهات مختلفات فتقسم من جهة المقصود به إلى هرب أو طلب وينقسم من جهة الأحكام إلى خمسة أقسام واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام . وينقسم من جهة التنوع في المقاصد إلى أقسام :

الأول الهجرة وهي تنقسم إلى ستة أقسام .

(١) تفسير ابن كثير ٥٤٢/١ .

الأول الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان . فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام فإن بقي فقد عصى .

الثاني : الخروج من أرض البدعة قال ابن القاسم سمعت مالكا يقول لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سب فيها السلف وهذا صحيح فإن المنكر إذا لم يقدر على تغييره زلّ عنه قال الله تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ .

الثالث : الخروج عن أرض غلب عليها الحرام فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم .

الرابع : الفرار من الإذابة في البدن وذلك فضل من الله عز وجل أرخص فيه فإذا خشى المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور .

وأول من فر لما خاف من قومه الخليل إبراهيم عليه السلام قال : « إني مهاجر إلى ربي » وقال : « إني ذاهب إلى ربي »

سيهدين » . وموسى قال الله سبحانه فيه « فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين » .

الخامس . خوف المرض من البلاد الوخمة والخروج منها إلى الأرض النزهة وقد أذن النبي ﷺ للرعاء حين استوخموا المدينة أن يتنزهوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون .

السادس : الفرار خوف الإذاية في المال فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه والأهل مثله أو أكد فهذه أمهات قسم الهرب . وأما قسم الطلب فينقسم إلى قسمين : طلب دين وطلب دنيا ، فأما طلب الدين فيتعدد بتعداد أنواعه :

الأول - سفر العبرة قال الله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ وهذا كثير في كتاب الله عز وجل وهو مندوب .

الثاني - سفر الحج إن كان فرضاً فهو فرض على المستطيع .

الثالث - سفر الجهاد وله أحكامه .

الرابع - سفر المعاش فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه وهو فرض .

الخامس - سفر التجارة والكسب الكثير الزائد على القوت

وذلك جائز بفضل الله سبحانه قال تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ يعني التجارة وهذه نعمة من بها في سفر الحج فكيف إذا انفردت .

السادس - في طلب العلم .

السابع - قصد البقاع الكريمة والثغور .

الثامن - زيارة الإخوان في الله .

التاسع - السفر إلى دار الحرب .

وفي الخلاصة انتقال المسلم من دار الحرب إلى ديار الإسلام لمن قدر عليه فرض والحكم قائم إلى آخر الزمان والانتقال من الإيمان بالله والحب في الله . والبقاء في ديار الكفر مع إمكان الهجرة ترك محبة الله تعالى .

مجانبة الظلمة من البغض في الله

أخي المسلم - أختي المسلمة من البغض في الله مجانبة الظلمة والابتعاد عنهم إذا كان المجالس لهم غير قادر على إنكار المنكر لو بدر منهم وأما إذا كان بمقدوره النصح لهم وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم فهو مطلوب منه ومأجور عليه . ولكن مثل هذا لا يتم إلا لمن عمرت قلوبهم بالإيمان وكانوا من أهل اللسان والفصاحة والبلاغة والتقوى ومراقبة الله عز وجل قد حازوا

الفضائل وترفعوا عما في أيدي المنصوحين ونظروا إلى أن ما أوتيه أهل الدنيا جميعاً هو جزء صغير جداً من جناح البعوضة التي سماها رسول الله ﷺ بقوله : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء » وإني ذاك نموذجاً من هذه النماذج ، فمن كان يرى من نفسه القدرة على أن يحذو حذو هذا النموذج فليقدم ولا حرج وإلا ففي البعد النجاة والسلامة . هذا النموذج أبو حازم الأعرج رحمه الله تعالى من كبار التابعين .

روى الدارمي في مسنده عن الضحاك بن موسى قال مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياماً فقال : هل بالمدينة أحدٌ أدرك أحدًا من أصحاب النبي ﷺ ؟ قالوا له : أبو حازم ، فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني ؟ قال : أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني ! قال : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن . ما عرفني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك ! قال : فالتفت إلى محمد بن شهاب الزهري فقال : أصاب الشيخ وأخطأت . قال سليمان : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟ قال لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم

الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب قال : أصبت
 يا أبا حازم . فكيف القدوم غداً على الله تعالى ؟ قال : أما
 المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق - الفار
 من سيده - يقدم على مولاه . فبكى سليمان وقال : ليت
 شعري ! مالنا عند الله ؟ قال : اعرض عملك على كتاب الله
 قال : وفي أي مكان أجده ؟ قال : « إن الأبرار لفي نعيم وإن
 الفجار لفي جحيم » قال سليمان : فأين رحمة الله يا أبا حازم ؟
 قال أبو حازم : رحمة الله قريب من المحسنين قال له سليمان :
 فأَيَّ عباد الله أكرم ؟ قال أولو المروءة والنهي . قال له
 سليمان : فأَيَّ الأعمال أفضل ؟ قال أبو حازم : أداء الفرائض
 مع اجتناب المحارم . قال سليمان : فأَيَّ الدعاء أسمع ؟ قال :
 دعاء المحسنِ إليه للمحسن ، فقال أي الصدقة أفضل ؟ قال
 للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها منٌ ولا أذى . قال فأَي
 القول أعدل ؟ قال : قول الحق عند من تخافه أو ترجوه . قال
 فأَي المؤمنين أكيس ؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودل الناس
 عليها . قال فأَي المؤمنين أحق ؟ قال : رجل انحط في هوى
 أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنياه غيره . قال له سليمان أصبت .
 فما تقول فيما نحن فيه ؟ قال يا أمير المؤمنين أو تعفيني ؟ قال له

سليمان : لا ولكن نصيحة تلقيها إلي . قال : يا أمير المؤمنين :
 إن آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة على
 غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة
 عظيمة ، فقد ارتحلوا عنها ، فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم !
 فقال له رجل من جلسائه : بئس ما قلت يا أبا حازم قال أبو
 حازم ! كذبت : إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبينه للناس ولا
 يكتُمونه ، قال له سليمان : فكيف لنا أن نصلح ؟ قال له :
 تدعون الصلف ، وتمسكون بالمروة وتقسمون بالسوية . قال له
 سليمان : فكيف لنا بالمأخذ به ؟ قال أبو حازم : تأخذه من حله
 وتضعه في أهله . قال له سليمان : هل لك يا أبا حازم أن
 تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : أعوذ بالله قال له
 سليمان ولم ذاك ؟ ، قال أخشى أن أركنَ إليكم شيئاً قليلاً
 فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات قال له سليمان : ارفع
 إلينا حوائجك ، قال : تنجيني من النار وتدخلني الجنة . قال له
 سليمان : ليس ذاك إلي ! قال له أبو حازم فما لي إليك حاجة
 غيرها قال : فادع لي . قال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان
 وليك فيسره خير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ
 بناصيته إلى ما تحب وترضى . قال له سليمان قط . قال أبو

حازم : قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله وإن لم تكن من أهله فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر . قال له سليمان : أوصني قال : سأوصيك وأوجز : عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير . قال : فردها عليه وكتب إليه يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً أو ردي عليك بدلاً وما أرضاهالك فكيف أرضاها لنفسي ! إن موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاءً يسقون ووجد من دونهم جاريتين تذودان فسألتهما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال : رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ، وذلك أنه كان جائعاً خائفاً لا يأمن فسأل ربه ولم يسأل الناس فلم يفتن الرعاء وفتنت الجاريتان فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاها بالقصة وبقوله . فقال أبوهما وهو شعيب عليه السلام (أو غيره) هذا رجل جائع فقال لإحدهما اذهبي فادعيه . فلما أتته عظمتها وغطت وجهها وقالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا ، فشق على موسى حين ذكرت « أجر ماسقيت لنا » ولم يجد بداً من أن يتبعها لأنه

كان بين الجبال جائعاً مستوحشاً فلما تبعها هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجيزتها وكانت ذات عجز - وجعل موسى يعرض مرة ويغض أخرى ، فلما عيل صبره ناداها : يا أمة الله كوني خلفي وأريني السم - الطريق - بقولك . فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهياً . فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى عليه السلام : أعوذ بالله ! فقال له شعيب لم أما أنت جائع ؟ قال : بلى ولكني أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئا من ديننا بملء الأرض ذهابا . فقال له شعيب لا يا شاب ولكنها عادتني وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه المائة دينار عوضا لما حدثت فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه وإن كان لحق في بيت المال فلي فيها نظراء فإن ساويت بيننا وإلا فليس لي فيها حاجة .

قال القرطبي تعليقا : هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والأنبياء انظروا إلى هذا الإمام الفاضل والخبر العالم كيف لم يأخذ على عمله عوضاً ولا على وصيته بذلاً ولا على نصيحته صفاً -

عطاء - بل بين الحق وصدع ولم يلحقه في ذلك خوف ولا
 فزع « قال رسول الله ﷺ : « لا يمنعن أحدكم هيبة أحد أن
 يقول أو يقوم بالحق حيث كان » . قلت فإن كان الرجل العالم
 قادراً على بذل النصح للظالم فيها ونعمت وإلا فالفرار أولى .
 روى البيهقي عن عروة بن الزبير قال أتيت عبد الله بن عمر
 ابن الخطاب فقلت له : يا أبا عبد الرحمن إنا نجلس إلى أئمتنا
 هؤلاء فيتكلمون بالكلام نحن نعلم إن الحق غيره فنصدقهم
 ويقضون بالجور فنقومهم ونحسنة لهم فكيف ترى في ذلك ؟
 فقال يا ابن أخي كنا مع رسول الله ﷺ نعد هذا النفاق فلا
 أدري كيف هو عندكم (١) .

وروى أيضاً عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : خرج
 إلينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد أنا تاسع تسعة فقال لنا :
 أتسمعون هل تسمعون ثلاث مرات إنها ستكون عليكم أئمة
 فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فلست
 منه وليس مني ولا يرد علي الحوض يوم القيامة ومن دخل
 عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني
 وأنا منه وسيرد علي الحوض يوم القيامة » (٢) .

(٢) الشعب ٤٦/٧ .

(١) الشعب ٤٥/٧ .

مجانبة الفسقة والمبتدعة

ومن الحب في الله والبغض في الله مجالسة الصالحين ومشاركة الطالحين . روى البخاري ومسلم في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكبير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة » (١) .

فاجتهد في صحبة الأخيار ومجالستهم فالصحبة قد تجعل الشرير خيراً كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخير شريراً قال الحكماء من صحب خيراً أصاب بركته . فجلس أولياء الله لا يشقى وإن كان كلباً ككلب أصحاب الكهف ولهذا أوصت الحكماء الأحداث بالبعد عن مجالسة السفهاء .

قال علي كرم الله وجهه لا تصحب الفاجر فإنه يزين لك فعله ويود أن تكون مثله ، وقالوا : إياك ومجالسة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري وليس إعداد المجلس جليسه بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر إليه ، والنظر في الصور يورث في

(١) بخاري

النفوس أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه فإن من دامت رؤيته
 للمسرور سر أو للمحزون حزن وليس ذلك في الإنسان فقط
 بل في الحيوان والنبات فالريحانة الغضة تذبل بمجاورة الذابلة
 وكذا الصعب من الحيوان يصير ذلولاً بمقاربة الذلول والذلول
 قد ينقلب صعباً بمقارنة الصعب . والماء والهواء يفسدان
 بمجاورة الحيفة . وقال سيدنا على كرم الله وجهه محذراً من
 رفاق السوء ومجالسة الفسقة والمبتدعة والجهلة :

| | |
|---------------------|--------------------|
| فلا تصحب أحَا الجهل | وإياك وإياه |
| فكم من جاهل أردى | حليماً حين آخاه |
| يقاس المرء بالمرء | إذا ما المرء ماشاه |
| وللشيء من الشيء | مقاييس وأشابه |

نصيحة الأساتيد للتلاميذ

قال وهب بن منبه لعطاء إياك وأبواب السلطان فإن على
 أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل ، ولا تصيب من دنيا هم
 شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله . يعطاء إن كان يكفيك ما
 يغنيك فكل عيشك يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك
 فليس شيء يسعك إنما بطنك بحر من البحور أو واد من الأودية
 لا يشبعه إلا التراب .

وقال حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى : إياكم وهدايا الفجار
والسفهاء فإنكم إن قبلتموها ظنوا أنكم رضيتم بفعلهم . وقال
سعيد بن إسماعيل ينبغي لمن يخاف الله عز وجل أن لا يأتي
باب السلطان حتى يدعى فيأتيه وهو خائف من ربه عز وجل
فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقول الحق كما جاء في
الخبر : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ثم ينصرف
عنهم وهو خائف من ربه فهذا غير مفتتن إنما المفتتن أن يأتيهم
راغباً طالباً للدنيا طالباً للعز في الدنيا طالباً للرئاسة في الناس
يتعزز بعز السلطان ويتكبر بسلطانه فإذا أتاهم داهنهم ومال
إليهم ورضي بسوء فعلهم وأعانهم عليه وصدقهم على غير الحق
من قولهم ورجع عنهم مفتخراً بهم آمناً لمكر الله معتزاً بما نال
من العز بهم يؤدي الناس ويطغى فيهم ويتقوى عليهم باختلافه
إلى السلطان فهذا الذي افتتن ونسي الآخرة وعصى ربه وآذى
المؤمنين ونقص من دينه ما لا يجبره الدنيا كلها لو كانت له .

نصيحة عيسى للحواريين

قال عيسى بن مريم عليه السلام : تحببوا إلى الله عز وجل
ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إليه بالتباعد منهم والتمسوا
مرضاته بسخطهم قالوا : ياروح الله من نجالس ؟ قال : جالسوا
من يذكركم الله رؤيته ومن يزد في عملكم منطقه ومن يرغبكم

في الآخرة عمله .

نصيحة لقمان الحكيم لابنه

قال لقمان عليه السلام لابنه يابني إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ولا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فإن أفاضوا في ذكر الله فامض معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول منهم إلى غيرهم .

التوبة محجورة عن صاحب البدعة

روى البيهقي في الشعب عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله حجر التوبة عن كل صاحب بدعة » .

لا تجالس أهل الأهواء

روى البيهقي عن أبي جعفر قال : لا تجالسوا أصحاب الأهواء فإنهم الذين يخوضون في آيات الله .
وروى أيضا عن إبراهيم بن ميسرة قال قال رسول الله ﷺ : « من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » .
وقال الحسن البصري ومحمد بن سيرين وهما من كبار التابعين : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم .

وقال الفضيل بن عياض : لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليه اللعنة .

وقال إبراهيم القصار : أشد البلاء صحبة من يخالفك في اعتقادك ، أو تحتاج أن ترائي له في صحبتك وأولى الناس بالصحة من يوافقك في اعتقادك وتحتشمه في مجالستك معه ذلك الذي يمنعك عن أنواع المخالفات رؤيته وصحبته .

وقال مجاهد كانوا يقولون : لا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ماترى له .

من أولى الناس بالصحة

روى البيهقي عن المطرفي لبعضهم :

ليس الكريم الذي إن زل صاحبه

بث الذي كان من أسراره علما

إن الكريم الذي تبقى مودته

ويحفظ السر إن صافى وإن صرما

وروى أيضاً لابن مخلد :

وأين الصديق في المر أينما

خير إخوانك المشارك في المر

وإن غبت كان سمعاً وعيناً

الذي إن حضرت شرك بالود



الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|-------------------------------------|--------|
| مقدمة | ٦ |
| إيمان المقلد | ١٣ |
| زيادة الإيمان ونقصانه | ١٥ |
| قول الشافعي رحمه الله في الإيمان | ١٥ |
| الإيمان المنجي من الخلود في النار | ١٦ |
| الإيمان المنجي من دخول النار | ١٧ |
| المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة | ١٧ |
| هل الإيمان مخلوق | ١٨ |
| الكفر | ١٨ |
| الردة | ٢١ |
| فتوى | ٢٣ |
| حكم السحر وتعلمه | ٢٤ |
| الزنديق والمنافق والدهري والملحد | ٢٦ |
| حكم الزنديق | ٢٧ |
| الإباحي | ٢٧ |

الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|------------------------------------|
| ٢٩ | بعض تصرفات المرتد |
| ٣٠ | لا يجتمع الإيمان وموادة أعداء الله |
| ٣٨ | حكم موالة الكافرين |
| ٣٩ | مناكحة أعداء الله |
| ٤٠ | حكم الاستغفار للمشرك |
| ٤١ | والدا النبي ﷺ |
| ٤٤ | حكم الإقامة مع أهل الشرك |
| ٤٨ | أقسام الهجرة وأحكامها |
| ٥١ | مجانبة الظلمة من البغض في الله |
| ٥٨ | مجانبة الفسقة والمبتدعة |
| ٥٩ | نصيحة الأساتيد للتلاميذ |
| ٦٠ | نصيحة عيسى للحواريين |
| ٦١ | نصيحة لقمان الحكيم لابنه |
| ٦١ | التوبة محجورة عن صاحب البدعة |
| ٦١ | لا تجالس أهل الأهواء |
| ٦٢ | من أولى الناس بالصحة |